دور التحليل النفسي
في نظرية الاعتراف عند أكسل هونيث

د. **جلال بدله***

نور ماشي**

(تاريخ الإيداع 11 / 10 / 2020. قبل للنشر في 19 / 1 / 2021)

□ ملخّص □

يهدف هذا المقال إلى التعريف بالأساس النفسي لمصطلح الاعتراف عند أكسل هونيث. يعد "الاعتراف" من المصطلحات المهمة في الفلسفة الغربية لما يحتله من مكانة مهمة في العلوم الاجتماعية، إلا أننا نستطيع أن نعثر على أبرز السمات المكوّنة له في كتاب **الاعتراف** للقديس أوغسطين، ولدى الفيلسوف روسو الذي يعد أهم مؤسسي خطاب الاعتراف، وفي أعمال الفيلسوف الألماني هيغل، الذي أسس الإطار النظري لهذا المصطلح في كتابه الشهير **فينومينولوجيا الروح**. إلا أن هونيت استند في تأسيسه لهذه النظرية على منابع أخرى متنوعة كعلم النفس من خلال اطلاعه على أعمال فرويد والمحلل النفسي دونالد وينيكوت . فبالإضافة إلى التضمينات الفلسفية، أردف هونيث هذا المصطلح بمحتوى نفسي أعطاه قواماً أكثر متانةً مما قد نراه لدى هيغل. وكان من شأن هذا التدعيم النفسي للمصطلح الفلسفي أن فتح نطاق تطبيقه على مجالات عدة متنوعة، سياسية واجتماعية وأنثروبولوجية ونفسانية. وهو الأمر الذي نريد الخوض فيه بالتفصيل.

الكلمات المفتاحية: الاعتراف، التحليل النفسي، فرويد، الصراع.

* **أستاذ مساعد– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.**

** **طالبة ماجستير – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.**

The role of psychoanalytic in the Recognition of Axel Honneth

Dr. Jalal Badla *
Nour Machi**

(Received 11 / 10 / 2020. Accepted 19 / 1 / 2021)

□ ABSTRACT □

This article aims to introduce the psychological basis of 'Recognition' as presented by Axel Honneth. is considered as an important term in occidental philosophy, given its important place in social sciences. we can find some of its most important traits in book confession of Saint Augustine and the philosopher Rousseau, who considered the most important founder of the Recognition speech, and in the work of the German philosopher Hegel, whom established the theoretical framework of this term in his famous book entitled *The Phenomenology of Spirit*. However, Honneth based his theory on various follow-ups. In addition to the philosophical implications, Honneth merged this term with psychological content that gave it a more robust shape than we might see with Hegel. This psychological reinforcement opened its scope of application to include political, social, anthropological and psychological fields, which in turn we will be addressing in detail.

Key Words; Recognition, psychoanalytic, Freud, conflict

*Assistant Professor - College of Arts and Human Sciences - Tishreen University - Lattakia - Syria.
**Master's student - College of Arts and Humanities - Tishreen University - Lattakia - Syria.

مقدمة:

يعد الألماني أكسل هونيث Axel Honneth أحد أهم المنظرين لفلسفة الاعتراف في الفلسفة الغربية. نشأت هذه الفلسفة في ظل قلق الأنسان على وجوده النفسي والوجودي، حيث ظهرت عدة أصوات نادت بتأسيس حياة أفضل للفرد في ظل الواقع المرير الذي يعاني منه المجتمع. كان صوت هونيت من بين أصوات عديدة نادت بجدوى ونجاعة الاعتراف. إلا أن هونيت تفرّد من بين جميع هذه الأصوات بفتح آفاق جديدة في النظرية النقدية، من خلال ابرازه الطابع الصراعي للمجتمع من أجل الكشف عن الأمراض المتأصلة فيه والتي تؤدي الى عدم قيام مجتمع ناجح.

يُعبر مصطلح الاعتراف'Recognition' عن فهم أخلاقي لسلوك الأنسان والعلاقات الإنسانية، ويلعب دوراً مهماً في تحقيق الذات وضمان وجودها وحريتها من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، كما أن له دور في إعادة بناء العلاقات الاجتماعية عبر الحد من الظلم والمعاناة الاجتماعية واللامساواة بين الأفراد وجميع تجارب الاحتقار والازدراء. كل ذلك من أجل تحقيق قيم العدالة والاعتراف بحقوق الانسان وضمان حريته في مجال الاعتراف المتبادل. خلص هونيث إلى أنه من غير الممكن تحقيق كرامة الانسان وضمان حقوقه كافة إلا من خلال تحقيق مبدأ الاعتراف. لذلك عاد إلى النظريات التي درست مفهوم الذات وعلاقتها بباقي الذوات. فكانت نقطة الانطلاق من هيغل Hegel الذي أسس لولادة هذا المصطلح بدراسته للعلاقة المتمحورة بين الذوات التي تسعى لتحقيق الاعتراف المتبادل. لكن هونيت لم يتوقف عند هيغل لتأسيس نظريته بل اتجه الى مدارس علم النفس من خلال اطلاعه على أعمال سيغموند فرويد SigmundFreud، رائد مدرسة التحليل النفسي، وكذلك المحلل النفسي دونالد وينيكوت DonaldWinnicott.

أتاحت هذه البحوث لهونيت فهماً حقيقياً لعملية الاعتراف عبر الغوص في أساسه وعمقه النفسي، وهو العمق المتأصل في علاقات الأفراد بعضهم ببعض من جهة، وعلاقة الأفراد بالمؤسسات من جهة أخرى.

من خلال ما تقدم سنحاول الإجابة على الأسئلة الآتية:

كيف نشأ مفهوم الصراع؟ وهل كل صراع يؤدي الى اعتراف؟ كيف وظّف هونيث مفهوم الاعتراف الهيغلي؟ والأهم من ذلك ما هو الدور الذي لعبته مدارس التحليل النفسي في تأسيس نظرية الاعتراف؟ وهل هناك أولوية للمستوى النفسي داخل هذا المفهوم على المستويات الأخرى؟

أهمية البحث وأهدافه:

تتجلى أهمية البحث في أنه، عبر تسليط الضوء على القوام النفسي الذي يحتلّ ركناً أساسياً في نظرية الاعتراف، يريد أن يُبرز هذه الفلسفة كمجال أساسي لفهم العلاقات بين البشر. فقد أصبحت هذه النظرية من أكثر النظريات الاجتماعية تداولاً في المجالات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، للاستجابة لمتطلبات المجتمع في ظل تفشي العنف والأمراض الاجتماعية والاضطرابات النفسية. لذا فإن التركيز على الدور الذي لعبته مدارس التحليل النفسي في تأسيس نظرية الاعتراف، هو في الوقت نفسه تبيان لكيفية ونجاعة هذه النظرية في إيجاد حلّ لمشكلات اجتماعية ومجتمعية لطالما عانت واشتكت منها المجتمعات المعاصرة.

منهجية البحث:

لجأنا في هذه المقالة إلى منهج التحليل النقدي. فسعينا أولاً إلى قراءة شاملة لنظرية الاعتراف كما صاغها هونيث، وتبيان الدور الذي أدته نظرية التحليل النفسي في بنيان هذه النظرية. ومن خلال العودة إلى نصوص المؤسسين في مدرسة التحليل النفسي، عملنا على مقارنة هذه النصوص مع النصوص التي تُعدّ أساساً في نظرية الاعتراف وتستوحي أركانها من هذه المدرسة، من دون أن يغيب عن قراءتنا هذه المنظور النقدي الذي أردنا من خلاله تتبع التمفصلات النفسية الأساسية لنظرية الاعتراف وتسليط الضوء على دورها المركزي.

النتائج والمناقشة

الاعتراف والانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة الأخلاقية:

إن الصراع هو الحقيقة الظاهرة التي تضبط وتُمفصل حياة البشر الاجتماعية. تحدث هيغل عن الصراع في كتابه **فينومينولوجيا الروح**، وعارض فيه مفهوم الصراع كما قدّمه التقليد الفلسفي الأخلاقي والسياسي المتبع الذي كان سائداً لدى توماس هوبزThomas Hobbes و نيقولا ميكافيلي Nicolas Machiavelli. قامت فكرة صراع عند هذين الفيلسوفين على أساس حرب الكل ضد الكل، والعمل على إشباع الرغبات والحاجات تحت مسمى الصراع ضد البقاء، الذي يؤدي إلى تناقض بين الحاجات والرغبات الانسانية بشكل يفضي لا محالة إلى التناحر والصراع. تميزت حالة الطبيعة عند هوبز بالأنانية، فكل إنسان كان يطلب تحقيق ذاته للحفاظ على نفسه. هذا ما عبر عنه هوبز قائلاً: "إن الأساس الذي أود أن أرسي قواعده هو أن أبرهن في المقام الأول على أن حالة الناس بدون مجتمع، وهي التي أطلقت عليها اسم الحالة الطبيعية ليست سوى حرب محض يشنها الكل ضد الكل، فكل إنسان فيها له الحق في كل شيء، ولكن ما أن يفهم الناس أن هذه الحالة كريهة مقيتة حتى تتملكهم الرغبة في الخروج منها، بل إن الطبيعة نفسها تضطرهم إلى ذلك."[1] أعاد هيغل صياغة نموذج الحالة الطبيعية الأولى الذي صاغها هوبز في كتابه الشهير **اللفياثان**، بتطويره فكرة الصراع من الطابع العام الشامل القائم بين الجماعات من أجل الحفاظ على الذوات والأفراد إلى جملة من الدوافع والبواعث الأخلاقية، إذاً فالصراع هنا وفق هذه الصياغة الهيغلية الجديدة ذو طابعٍ عملي يعبر عن الوسيلة التي تبحث من خلالها الذات عن اعتراف الغير بهويتها الخاصة. وهذا ما يؤكده هونيت قائلاً: "تأخذ هذه العودة الاسترجاعية لنموذج <الصراع من أجل الاعتراف> المعروف جيداً دلالة خاصة دون شك وذلك لكون هيجل قد حاول هنا، وللمرة الأولى أن يدخله مباشرة، وبشكل نقد لنظرية هوبز بشأن الحالة الطبيعية."[2]

وبذلك أعطى هيغل صياغة جديدة لنموذج الصراع الاجتماعي الذي أدخله كل من ميكافيللي وهوبز على الفكر الفلسفي. حوّلت هذه الصياغة النزاعات الإنسانية إلى دوافع أخلاقية لا تقتصر على دوافع غرائز حفظ البقاء فقط. ذلك أن هيغل يرى أنه يجب النظر إلى الصراع كوسيلة أخلاقية تتيح الانتقال من مرحلة بدائية إلى مرحلة متقدمة من العلاقات الأخلاقية.

لفت هذا الانتقال من البدائي إلى العملي في موضوع الصراع هونيث، الذي أكد على هذا الأساس العملي معلقاً على هيغل بالقول: "فإذا كان على الذوات التخلي وتجاوز مستوى من مستويات علاقاتهم الأخلاقية، حيث لا اعتراف كلياً

[1] **إمام عبد الفتاح امام: توماس هوبز فيلسوف العقلانية، الكويت، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985،ص333.**

[2] **أكسل هونيت: الصراع من أجل الاعتراف، ت:جورج كتورة، بيروت، المكتبة الشرقية،2015، ص79.**

بهويتهم الخاصة، فإن الصراع الذي سينشأ حينها لا يمكن أن يكون موضوعه مجرد حفظ الكيان الطبيعي، بل على العكس، إن المأزم العملي الذي يجعل الذوات ذواتا متعارضة هو بكليته حدث أخلاقي، طالما أنه يهدف الى تأمين الاعتراف التذواتي لبعض أبعاد الفردية البشرية."[3]

نستنتج هنا أهمية هذه العودة الاسترجاعية بالنسبة إلينا من الحالة الطبيعية إلى الحالة الأخلاقية، وأهميتها فيما بعد، لولادة أو دخول الصراع في الحياة النفسية للفرد.

وبهذا يكون هيغل أول فيلسوف درس العلاقات الاجتماعية بين السيد والعبد بوصفها علاقات بين ذوات تسعى لتحقيق (الاعتراف المتبادل) من خلال ما أسماه بالتذوات الذي يميز حياة البشر، يأخذ هذا الصراع الصياغة الآتية التي عرضها هيغل كتابه **فينومينولوجيا الروح**. "فكل طرف من جهة ما هو وعي فإنما يخرج فعلاً على ذاته، بيد أنه في كونه خارج نفسه إنما يظل في الحين ذاته منحبساً في ذاته، فيكون لذاته، ويستقيم له الخروج على ذاته وما يتضح هو أنه في الحال وعي آخر، مثلما يتضح له أن هذا الأخر لا يكون لذاته إلا من جهة أنه هو الذي يستنتج ككائن لذاته الذي للأخر، والطرفان يعترفان بنفسيهما من جهة اعترافهما ببعضهما اعترافاً متبادلاً."[4]

يتحقق هذا الاعتراف داخل عملية الصراع التي تنشأ بين الأنا والغير. وهو الفكرة الأساسية التي يلخصها هيغل في جدليته المشهورة المعروفة بـ (ديالكتيك السيد والعبد)، التي يصل من خلالها الوعي الإنساني إلى مرحلة الوعي الذاتي. يتمحور جوهر "ديالكتيك السيد والعبد" حول مسألة الاعتراف التي تبدو مبنية على أساس صراع ينشأ بين الذوات بحيث تحاول كل ذات تأكيد وجودها من خلال تدمير استقلال الذوات الأخرى، والهدف من هذا الصراع هو تأكيد وجود الذات وضمان حريتها. تبدأ هذه العملية حين تتقابل لأول مرة ذاتان مختلفتان واعيتان بنفسهما، فتسعى كل منهما إلى أن ترى نفسها منعكسة في الذات الأخرى. إن دلّ ذلك على شيء فإنه يدل على رغبة الذات في نزع الاعتراف من الذات الأخرى المقابلة، لأن الذات الأخرى تكون غريبة عنها. ينشأ هذا الشعور المتبادل بالاختلاف عن صراع الاعتراف بينهما. إلا أن هذا الصراع لا ينتهي بالموت الفعلي بل ينتهي بوجود طرف منتصر وآخر مهزوم. الأول هو وعي من أجل ذاته، وهو (وعي السيد)؛ والثاني هو وعي من أجل وعي أخر، وهو (وعي العبد). الرابح في هذا الصراع يسيطر ويستبعد الخاسر، نظراً لحاجته لاعتراف الخاسر ليعلن عن نفسه كسيد منتصر ومهيمن. أما الخاسر فإنه يخضع للرابح خوفاً من الموت ويستسلم لدوره الجديد كعبد.

يمكننا أن نستشف من خلال الصراع الذي دار بين السيد والعبد، بأن هذا الصراع يأخذ دروباً نفسية تضع في المقدمة وعيين يتشكلان داخل تكوين نفسي سيدوم وتدوم آثاره طوال فترة ما بعد الصراع. فالسيد هو من لا يخاف الموت، والعبد هو من قبل الخسارة لأنه تعلّق برغباته وحبه للحياة. حتى أننا نستطيع القول بأن نهاية الصراع صيغت صياغة نفسية. لا ريب في أن دموية هذا الصراع ستترك آثاراً اجتماعية ذات منشأ نفسي، وأن الوعيين المتشكلين سيجدان نفسهما في نهاية المطاف على أريكة التحليل النفسي.

ومن التضمينات النفسية لهذا الصراع أن العلاقة القائمة بين السيد والعبد غير مكتملة. فالسيد لكي يحقق استقلاله كوعي ذاتي، عليه أن يعتمد بشكل كلي على العبد، ما يؤدي الى تناقض كبير، لأنه لن يتمكن من تحقيق الاستقلال إلا عن طريق تدمير استقلال الذات الأخرى. لذا فان هذا الاستقلال يناقض نفسه ويتحول الى اعتماد على الطرف الأخر.

[3] أكسل هونيت، الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق، ص40.

[4] .هيغل: فينومينولوجيا الروح، ت: ناجي العوتلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2006، ص269.

والنتيجة أن العبد عندما يصبح مسؤولاً عن تأمين حاجات سيده، فإنه يقوم بتطوير وعيه الذاتي ليصل إلى مرحلة الاستقلالية. يحقق العبد استقلاليته عن طريق العمل، ويصبح السيد مضطرا للاعتراف بالعبد للحفاظ على استقلاليته فهو الموجود الذي يصل من خلاله إلى اشباع حاجاته. أي أنه يعتمد على جهد ذلك الذي يعمل من أجله: "لا تؤدي عملية العمل إلى خلق الوعي الذاتي في العامل وحده، بل تخلقه في السيد بدوره، ذلك لأن أساس تعريف السيادة هو أن السيد يتحكم في الأشياء التي يريدها دون أن يشتغل في سلبها"[5].

وعلى هذا النحو يعرض هيجل علاقة السيادة والعبودية بوصفها علاقة لا تكتمل إلا بوجود الطرف الآخر، فكل من الطرفين يعترف بأن ماهيته وحقيقته لا تكمن إلا في الطرف الآخر. وفي هذا الموضع بالتجديد وجد هونيث في قراءة نصوص هيجل الأهمية الكبيرة التي ساعدته في فهم الصراعات الاجتماعية فهما أخلاقيا، بمعنى أن علاقة الذات مع الآخر مبنية على اعتراف الذات بحرية باقي الذوات وكرامتها اعترافاً متبادلاً، وبكون عملية الاعتراف كفيلة لوضع حد للصراعات الاجتماعية القائمة على السيطرة والهيمنة التي تعاني منها كافة المجتمعات وبالتالي يتمكن الأفراد من تحقيق ذواتهم.

إن هذا الأساس النفسي للصراع، الأساسي في **فينومينولوجيا الروح** على الرغم من عدم وضوحه الصريح، هو الذي دفع هونيت إلى الاتجاه إلى مدارس علم النفس. لذا يمكن القول أن هونيت أراد من خلال اطلاعه على أعمال فرويد والمحلل النفسي دونالد وينيكوت، استكمال نظرية الاعتراف. فهي بحلتها الهيغلية نظرية ناقصة، بسبب عدم الخوض في التكوينات النفسية للسيد والعبدو للآثار طويلة الأمد الناجمة عن هذا الصراع. والحقيقة أن هذه البحوث النفسية قد أتاحت له فهماً حقيقياً للأسس الاجتماعية والنظرية لعملية الاعتراف.

المكون النفسي لنظرية الاعتراف

عمل هونيث على دراسة الذات الإنسانية من المنظور النفسي مستعينا بأعمال المحلل النفسي فرويد، بغية فهم الأفعال الإنسانية والمجتمعات التي تعاني من فساد وانحلال في كافة النواحي الاجتماعية والسياسية والنفسية ،انطلاقاً من التحليل النقدي لمختلف مظاهر الحياة.

تذهب نظرية التحليل النفسي عند فرويد إلى أن نمو شخصية الفرد مرتبط بكل مرحلة من مراحل النمو السابقة بإشباع تام لرغباته وبطريقة لا تؤجج الصراع، مما يؤدي إلى نمو شخصية سليمة بعيدة عن الاضطراب السلوكي، أما في حال وجود عقبات في مراحل النمو السابقة فسيؤدي إلى تعرض الفرد إلى الإحباط أو الصراع، الذي يحدث بين رغبتين متضادتين هما الشعور واللاشعور، هذا ما وصفه فرويد قائلاً: "إن تقسيم الحياة النفسية إلى ما هو شعوري وما هو لاشعوري، هو الفرض الأساسي الذي يقوم عليه التحليل النفسي، وهذا التقسيم وحده هو الذي يجعل من الممكن للتحليل النفسي، أن يفهم العمليات المرضية في الحياة العقلية."[6]

وذكر نوعين من الصراع بين الرغبات يحدث إحداهما في دائرة الشعور وينتهي بتخلي إحدى الرغبتين عن الأخرى ،وهذا هو الحل السليم للصراع ولا يؤدي إلى ضرر، بينما يلحق الضرر النوع الثاني من الصراع الذي تلجأ إليه النفس بصد إحدى الرغبتين عن الشعور وكبتها، ونتيجة لذلك تحدث رغبة مكبوتة جديدة شاذة في اللاشعور، وهذا ما وصفه فرويد قائلاً: "كان من مسلماتنا أن مهمة الأنا هي إشباع مطالب القوى الثلاثة التي يخضع لها الواقع والهو و الأنا

[5] **هيغل: فينومينولوجيا الروح، مصدر سابق، ص296.**

[6] **سيغموند فرويد: الأنا والهو ،ت: محمد عثمان ، دار الشروق،بيروت،1923، ص25.**

الأعلى، وبذلك يستبقى نظامه الداخلي ويحافظ على استقلاله الذاتي ولا يمكن أن يكون الشرط الضروري للخيالات المرضية التي ذكرناها الاضعف الأنا ضعفاً نسبياً، أو مطلقاً يمنعه عن القيام بمهامه."[7]

وبهذا فإن نظرية فرويد، كانت تهدف لإعطاء التطور النفسي للطفل صورة تبدو فيها علاقته مع الغير مجرد وظيفة لتمظهر نزواته الغرائزية، وبأن حياة الطفل يسيطر عليها صراع نفسي بين الهو الذي يخضع لمبدأ اللذة، والأنا الذي يخضع لمبدأ الواقع، ليحاول أن يضبط هذه اللذة ويوجهها بما يتناسب مع حاجات الواقع، هذا ما عبر عنه هونيت قائلاً: "فبالنسبة الى فرويد ومن خلفه من أتباعه لم يكن ثمة اعتبار للمشاركين في التفاعل مع الطفل إلا بقدر ما كانوا يشكلون موضوع شغل أدوات ذات منحى ليبيدي، سببه الصراع النفسي الداخلي بين المتطلبات الغرائزية الواعية والرقابة المكبوتة باضطراد داخل الأنا. "[8]

إن الدارس لفلسفة هونيث والمتتبع لمراحل تطورها، يلاحظ كيف اتسعت لترتبط بالتحليل النفسي من خلال التأثر بأفكار رائدها فرويد والاستفادة من التحليل النفسي كمنهج لتحليل المشكلات الفردية التي برزت في المجتمع الرأسمالي، التي أدت إلى انحطاط القيم الفردية وعدم الاعتراف بحقوق الفرد داخل المجتمع، وجعلت منه عرضة للاحتقار والإهانة، فالانفعالات والعواطف السلبية المترتبة عن تجربة الاحتقار تشكل في نظر هونيت الدافع العاطفي الذي يتخذ فيه الصراع من أجل الاعتراف، وعليه فالانخراط في صراع أو نزاع ناتج عن ردود أفعال انفعالية وعاطفية سلبية، إن مثل هذه الأفعال بمثابة أعراض نفسية يدرك الفرد من خلالها أنه محروم من حقه في الاعتراف الاجتماعي، لكن عندما لا يتحقق هذا الاعتراف يتضرر الفرد من الناحية النفسية حينما يشعر بالإهانة والغضب. " تعتبر تجربة الاعتراف تجربة أساسية بالنسبة الى الإنسان فلتحقيق علاقة ناجحة مع ذاته يحتاج المرء إلى الاعتراف التذواتي للإمكانات والمؤهلات أما إذا غاب أو انعدم هذا الشكل من الاستحقاق الاجتماعي قد يصاب المرء بضرر نفسي."[9]

ضمن هذا السياق رأى هونيت أن تجارب الاحتقار التي يمر بها الفرد المتمثلة باحتقار الجانب البدني أو الجسدي، وممارسة مظاهر العنف التي تحرم الشخص من إمكانية التصرف بحرية في جسده، لها جانباً نفسياً مهماً في حياة الفرد، ذلك كون خصوصية الاعتداء البدني كالتعدي أو الاغتصاب لا تنحصر فيما يسببه من ألم بدني فقط وإنما ما يسببه من ألم نفسي بشعور المعتدي عليه بأنه كان خاضعا لشخص آخر، دون المقدرة على مقاومة الشخص المعتدي، قصد الدفاع عن النفس. وفي هذا السياق يقول هونيت: "يمثل سوء المعاملة الفيزيائي نمطا من الذل يجرح على الدوام الثقة التي اكتسبتها الذات انطلاقا من تجربة الحب كذلك يؤدي سوء المعاملة الى نوع من الخجل الاجتماعي إلى خسارة الثقة بالذات وبالعالم، ومهما اختلفت نظم التبرير الاجتماعية التي بالإمكان خلقها ستدرك ذلك فإن تجربة العذاب والاغتصاب ستظل تثير على الدوام انهياراً درامياً في ثقة الفرد بالعالم الاجتماعي وبأمنه الذاتي أيضاً."[10]

قرأ هونيث أفكار فرويد وأخذ منها ما يتماشى مع نظريته ،منها فكرة الصراع وعمل على توظيفها في نظريته ونقلها من المجال النفسي إلى المجال الاجتماعي من خلال إبرازه الطابع الصراعي لإرادة الفرد التي تحارب الأمراض الاجتماعية التي نشأت في المجتمع الرأسمالي، قائلاً: "كانت وجهة نظري أن العلاقات الانسانية في نظرية فرويد وتحليلاته لها

[7] سيغموند فرويد: موجز في التحليل النفسي، ت: سامي محمود علي، مكتبة الأسرة،2000، ص 98.

[8] أكسل هونيت: الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق، ص177,176.

[9] كمال بومنير: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماركس هوركهايمر إلى أكسل هونييت، دار الأمان ، الرباط، 2010ص156.

[10] أكسل هونيت: الصراع من أجل الاعتراف، ت:جورج كتورة ،المكتبة الشرقية ، بيروت،2015 ص242.

تدخل في النسيج النفسي للإنسان، أدركت بأن لدينا أنا و فرويد بعض المفاهيم المشتركة خاصة عندما يتحدث عن القلق والصراع."[11]

انطلاقاً من ذلك فتح هونيث آفاقاً جديدةً في نظرية الصراع النفسي ،منطلقاً من نموذجه المعروف باسم الصراع من أجل الاعتراف الأمر، متجاوزاً نظرية فرويد بتمركزها حول العلاقة بين الرغبات اللاشعورية الهو والجانب الشعوري من الشخصية الأنا والصراع الذي يحدث بينهما ، لهذا أكد هونيت بأن المواقف الصراعية التي نجمت عن الشعور بالظلم والإهانة لا يمكن تجاوزها إلا عن طريق الاعتراف بحقوق الإنسان ،وبأن الأزمات النفسية لا يمكن ردها للصراع الذي يحدث بين رغبتين متضادتين، بل إلى عملية انفصال الطفل عن محيطه الاجتماعي، هذا ما وصفه هونيث قائلاً: "تم التيقن على أن عدداً متنامياً من المرضى يشكون أمراضاً نفسية لا يمكن عزوها إلى صراعات داخل النفس بين أجزاء الأنا والهو، ولكنها تعزى فقط إلى اضطرابات ما بين الشخصيتين أثناء عملية انفصال الطفل عن محيطه."[12]

طبقاً لنظرية فرويد في التحليل النفسي، إن لمرحلة الطفولة(السنوات الخمس الأولى) أثر كبير في تكوين شخصية الفرد، خاصة فيما يتعلق بوالديه، وأن للأم الدور الأساسي في حياة الطفل إذ أن خسارتها تعد السبب الرئيسي لكل الأزمات النفسية. "وحدها الأم هي التي تمثل الشخص المرجع الذي يتمتع بقيمة خاصة إذ أن الخشية من خسارتها يعتبر، في مرحلة التبعية النفسية لدى الرضيع إذ لامعين آخر له، بمثابة السبب المؤثر غي كل أنواع القلق."[13] فعلاقة التفاعل بين الأم وابنها عن طريق الحب والحنان، والعطاء والسلوك الهادئ المقدم من قبل الأم، تولد عن الطفل شعور بأنه شخص مهم بالنسبة لوالديه وتحقق لديه الثقة بالنفس، لذلك توقف هونيت عند هذه الفكرة التي لعبت الدور الهام في نظريته، ورأى بأن هذه التجربة تبعث ما يسمى بالأمن العاطفي فالفرد حينما يجد الحب أسريا واجتماعيا، فإنه يحقق الأمان وبالتالي يتمكن من تحقيق التوازن النفسي والتحلي بالإيجاب تجاه الغير.

وبالتالي تعتبر علاقة الطفل بالأم أولى مستويات الاعتراف المتبادل لأن الصورة الأولى لهذا التفاعل تتم بين الأم وابنها، بحيث تقوم الأم بتوفير كافة حاجاته وتمثل بالنسبة اليه نموذج "الاعتراف التذواتي"[14]، وهذا ما عبر عنه هونيت قائلاً: "إن دراسة علاقات التفاعل في الطفولة المبكرة وعلى ضوء دراسة التحليل النفسي، ستكشف في التعلق بالغير سيرورة يتعلق نجاحها بالحفاظ ومن هذا الجانب أو ذلك على التوتر بين التضحية التكافلية الإقرار الفردي للذات، لذلك تملك الدراسات التي تحققت في حقل نظرية العلاقة بالموضوع قدرة على إيضاح الحب باعتباره علاقة تفاعل تقوم على نموذج خاص من الاعتراف المتبادل. "[15]

وبذلك نستنتج بأن نظرية التحليل النفسي التي قدمها فرويد ساهمت في فهم الحب كنموذج للاعتراف التذواتي، وشكل من أشكال الاعتراف المتبادل عبر ما تؤمنه هذه التجربة من شروط نفسية مناسبة لتوفير وتطوير كل مظاهر الثقة بالذات واحترامها، يعود ذلك للطريقة التي تربط نجاح العلاقات العاطفية، بما يكتسبه الفرد في محيطه الأولي الذي

---

[11] أكسل هونييت، الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق، ص117.

[12] أكسل هونييت، الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق،ص177.

[13] Sigmund Freud, *The psychopathology of Everyday life*,T. James strachey, New Yourk,1901, P.111.

[14] الاعتراف التذواتي: مصطلح يشير إلى الفيلسوف دونالد وينيكوت، ويعبر عن العلاقة التي تتم بين الطفل وأمه التي تعتبر أولى مستويات الاعتراف المتبادل، اعتراف كل طرف بالآخر عن طريق تلبية حاجاته، انظر(أكسل هونييت، الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق، ص154.)

[15] أكسل هونييت: الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق، ص183.

عاش به(الأسرة)،الذي بدوره يساعده على تحقيق التوازن بين عملية التفاعل الاجتماعي وتأكيد الذات، وتحقيق الاستقرار النفسي والوجداني وتكوين شخصية مستقلة.

خضعت نظرية التحليل النفسي للعديد من التغيرات والتطوير بعد فرويد، فظهرت مدارس جديدة أولت اهتمام للعلاقة الاجتماعية التي يكونها الطفل في الطفولة المبكرة، متجاهلة الدوافع الغرائزية. كان رائد هذه المدارس المحلل النفسي دونالد وينيكوت الذي ظهر تأثيره الكبير في أعمال هونيت، وبشكل خاص فيما يتعلق بأشكال ونماذج الاعتراف، وذلك بدراسة إمكانية هوية الشخص وعلاقتها بالاعتراف وعلاقتها بباقي الذوات.

ترى نظرية وينيكوت أن الطفل لا يكون وحيداً ككيان مستقل، بل كيان للأم والطفل معاً، ومن هذا الكيان سينمو الطفل. ورأى أن خبرات الطفل الأولى خلال أشهر حياته الأولى مصيرية لنمو شخصيته المستقلة، فالبيئة الداعمة التي توفرها الأم هي التي تحدد شخصيته، واصفا هونيت هذه الحالة بقوله: "إنه في حالات عدم الملائمة بين حاجات الطفل وعناية الأم، يبدأ الطفل بالتخلي عن ذاته الحقيقية ويبدأ بتكوين ذات زائفة."[16]

وظّف هونيت هذه الأفكار في نظريته، وبالأخص في حديثه عن الأم كوسط من أوساط الاعتراف التذواتي، حيث اعتبر علاقة الطفل مع أمه أولى مستويات الاعتراف المتبادل، وذلك لأن الصورة الأولى لهذا الاعتراف تتم عن طريق التفاعل الأولي القائم بين الأم وابنها، بحيث أن هذه الأخيرة هي التي تقوم بتلبية حاجاته البيولوجية والعاطفية، بل تمثل بالنسبة إليه نموذج الاعتراف المتبادل أو ما يسمى "بالتذوات الأولي"[17]، قائلا: "الطفل غير القادر على التمييز بتعابير معرفية بين نفسه والمحيط، ينمو طيلة الأشهر الأولى في حياته وسط أفق التجربة لا تتأتى استمراريتها إلا بمعاينة شريك في التفاعل. وبقدر ما يتوجب على عالم التجربة غير المتمايز هذا، ولضرورات الحياة، السماح ليس فقط بحل التواترات الغريزية بل بتأمين الراحة الجسدية، الأمر الذي يجعل الرضيع أسير حركات الحب التي تقدمها الأم من خلال أشكال التصرف التي تتناسب مع حاجاته."[18]

لهذا يرى وينيكوت بأنه من غير الممكن دراسة سلوك الطفل بمعزل عن الأم، فسلوكه يستند كلياً إلى هذا المكمل الخارجي. وفي ذلك يقول وينيكوت :"والبحث المرتبط بالتحليل النفسي يقع في خطأ التجريد الخادع حين يتناول الطفل بمعزل عن كل شخص يكون على علاقة ترابط معه، أي حين يتناوله كموضوع مستقل"[19]

ولا يمكن لهذه المرحلة أن تنتهي إلا حين يستعيد كل واحد من الشريكين قليلاً من الاستقلالية ، التي تبدأ بما يسمى حركات الانعتاق وتترافق مع نمو عقلي من قبل الطفل، يسمح له بالتمييز بين نفسه والمحيط الخارجي ويصدر الإشارات الصوتية وبعض الحركات التي تشير إلى إشباع حاجاته، ويمكّنه من تعلم غياب أمه عنه ويمنحه القدرة على توجيه غرائزه الشخصية، في هذه المرحلة بالأخص، تحصل لدى الطفل تطورات في قدراته لإقامة علاقات تفاعل مع غيره، وبذلك رأى هونيت بأن: "الشخص الذي أدخله حتى الآن وبشكل استيهامي في عالمه الذاتي، راح يفلت بالتدريج أيضاً من رقابته الكاملة، وهنا سيجد نفسه مجبراً على <<الاعتراف بالشيء بوصفه كينونة لها حقها الخاص>>."[20]

---

[16]أكسل هونييت، الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق، ص177.

[17] التذوات الأولي: مصطلح يعبر عن سيرورة التفاعل التي بواسطتها يعيش كل من الأم والطفل في وحدة تامة، انظر(أكسل، هونييت، الصراع من أجل الاعتراف،ص74.)

[18]أكسل هونيت: الصراع من أجل الاعتراف،مصدر سابق ص183.

[19] D. Winnicot , *Playing and Realty*, travistock publication, London, 1971. P.47

[20] أكسل هونييت، الصراع من أجل الاعتراف، مصدر سابق،ص185.

اننا اذا تناولنا بالتحليل مرحلة انفصال الطفل عن أمه نتيجة التغيرات العدوانية تجاهها ، يسمح لنا بالعودة هنا إلى النموذج الذي وصفه هيجل ب(الصراع من أجل الاعتراف)، ذلك أن الطفل وعبر محاولته تغييب أمه الذي يتخذ شكل الصراع، يكتشف تبعيته للاهتمام الذي يوليه شخص موجود مستقلا عنه.

أما بالنسبة الى الأم عليها أن تتقبل الاستقلال عن الشخص المقابل لها، فيجب على الأم والطفل أن يفهم الواحد منهما تبعيته لحب الآخر دون أن يعني ذلك الوصول إلى حد الذوبان في التعايش المشترك .وعليه يقول وينيكوت: "في إطار العلاقة التي تنشأ بعد ذلك يستطيع الطفل أن يوفق تعلقه المعيشي بأمه مع شعوره باستقلالية هذه الأم، أثناء هذه المرحلة تكون الأم ضرورية، وهي ضرورية بما تملك من قيمة على حب البقاء إنها في آن واحد أم العالم المحيط والأم الموضوع الذي يحب بشبق ،وفي هذا الدور الأخير تتعرض الأم للضرر والدمار"[21]

توقف هونيت عند نظرية وينيكوت، التي ترى بأن قدرة المرء أن يكون وحيداً علاقة بالثقة التي يوليها الطفل لاستمرارية حنان الأم، فهو بذلك يضفي عنصراً في إعادة تكوين ظاهرة الحب بوصفها نمطاً خاصاً من الاعتراف. إن الأم وبعد مقاومة هجومات طفلها العدوانية دون أن تغير حبها له، فهي تخرج منتصرة من المحنة التي يضعها لها طفلها دون وعي منه، فالأم تصبح بالنسبة للطفل كائن ينتمي إلى عالم خارجي عليه تقبله ولو بألم، فعليه أن يدرك بأنه كائن مرتبط بعناية الأم وعطفها، وعليه بمقدور الطفل الاعتماد على هذا "الرابط التذواتي"[22]، ليطور شعوراً بالثقة يتعلق بإشباع متطلباته الشخصية اجتماعياً.

فقدرة الطفل في أن يكون وحيداً يعزوها وينيكوت الى وجود الأم الدائم، فحين يكون الطفل متأكد من حب أمه له ، يكتسب ثقة بنفسه تسمح له أن يبقى وحيداً دون الشعور بالقلق والتوتر، وعليه نرى في العلاقة الناجحة بين الأم والطفل، صورة من صور التفاعل، يؤكد تكرارها الدائم في مرحلة النضج نجاح العلاقات العاطفية مع الأشخاص الأخرين. وبذلك نستنتج بأن تحليلات وينيكوت المتعلقة بمسيرة نضوج الطفل وبالبنية التواصلية الناجحة بين الطفل والأم، يتيح لنا فهم ظاهرة الحب على أنه شكل من أشكال الاعتراف المتبادل عند هونيت.

الاستنتاجات والتوصيات:

إن مفهوم الاعتراف الذي أسسه هونيت يُشدّد على أن الذات لا تستطيع أن تتحقق ويكون لها مكانة وموقع وفعالية، بل ووجود إلا من خلال سيرورة التفاعل الاجتماعي. لذا فإن مفهوم الاعتراف أصبح مفهوماً مركزياً في مجال السياسة والدراسات الاجتماعية والنفسية على وجه الخصوص. بل إن جميع المطالب المجتمعية (المتعلقة بالهوية والثقافة والحرية والدين) تُختزل في أساسها إلى مطالب تسعى إلى الاعتراف. وجدنا في هذا البحث أن نموذج الاعتراف لدى هونيت ذا أساس نفسي يعتمد على عامل "الثقة بالنفس"، ومن ثم يأتي في الدرجة الثانية الجانب الاجتماعي. ليس هذا الترتيب إقصائي بأي حال من الأحوال ولا يهدف إلى إبعاد المشكلات المجتمعية، بل يريد أن يُشدد على أساسها النفسي.

---

[21] D. WINNICOT, ***playing and Realty***,p88.

[22] **الرابط التذواتي: مصطلح يشير إلى الفيلسوف دونالد وينيكوت يعبر من خلاله عن العلاقة التي تشكلت بين الأم وطفلها خلال مراحل تكون نموه والتي تعلب دور كبير في تكوين شخصيته، انظر(D. Winnicot play and Realty p155.)**

إن علاقات التفاعل التي طرحها كل من وينيكوت وفرويد، إنما تعبر عن أساس نفسي لنمو شخصية الإنسان ومواقف احترام الذات وتقديرها اجتماعياً، هذا الأساس الذي كان موضع اهتمام لدى هونيت في نظريته وبالأخص لدى حديثه عن الحب كتجربة في الاعتراف التذواتي، لذلك يمكننا اعتبار الحب بمثابة الحجر الأساسي لتأسيس الحياة الأخلاقية، وبالتالي تحقيق عامل الثقة بالنفس لكي يتمكن الأفراد من المشاركة في الحياة الاجتماعية.

Reference:

1.HOONTH,A. *The Struggle for Recognition The Moral Grammar of social conflicts*, T:Gorge cattora, Eastern library,Beirut,2015.
2. FREUD,S. *The ego and The ld*, T; Mohammad Othman, Sun rise house, 1923.
3. FREUD,S. *The psychopathology of Everyday life*, t.James strachey New Yourk,1901.
3. FREUD, S. *Brief in psychoanalysis*, t.Sami Mahmoud Ali, Family Library,1940.
4. WINNICOT, D.W *playing and Realty*, travistock publication, London, 1971.
5. EMAM, E.A.*Thomas Hobbes philosopher of Rationalism*, House of culture for Publishing and Distribution, 1985.
6.HEGEL; *phenomenology of spirit*, T; Najii Aoutali, Arab organization, Beirut, 2007.
7. BOMONER,K. *The Critical Theory of The Frankfurt School From Marx Horkheimer To Axel Honneth* Safty House, Alribat, 2010.